الأساليب التركيبية في شِعر الحَكَم بِن عَبدل الأسدي (ت: نحو ١٠٠هـ)

Synthetic methods in the poetry of Al-Hakam bin Abdul AL-Asadi

م.د.علي ياسين حبيب*
aliyaseenhabeeb@gmail.com
م.م.عبير ياسين محمد *
aliyaseenhabeeb@gmail.com

المُلخّص باللغة العربية:

الحمدُ لله ربّ العالمين والصّلاةُ والسّلامُ على خير المرسلين سيدنا مُحمّد وعلى آلهِ وصحبهِ الطيبين الطاهرين وبعد...

يدورُ هذا البحث في فَلك الدراسة التحليلية للأساليب التركيبية في شِعر الحَكَم بن عَبدل الأسدي (ت: نحو ١٠٠هـ)، وهو شاعر مِن شعراء الدولة الأُموية عُرف – بين شعراء طبقته– بالهجاء، وقد خاض مِن خلالهِ كثيراً مِن المواقف والأحداث في ذلك العصر، لذلك يستحق العناية والدراسة والتحليل لنتاجه الشعري، ويهدف هذا البحث إلى بيان أنَّ اللغة العربية هي مِن أكثر اللغات الغنية بالقواعد النحوية والبلاغية، فضلاً عن تعدّد أساليب الكلام والتعبير، ثمَّ الكشف عن حياة الشاعر – نموذج البحث– الصعبة وإعاقته التي جعلت منه شاعر هجاء خبيث اللسان، عمّن يعدّه شاعراً مجيداً مقدماً في طبقته، فضلاً عن الكشف عن الأساليب التركيبية البلاغية في شعر الحَكَم وعلى رأسها الاستفهام والنفي، وكيف شكَّل الاستفهام بُعداً دلالياً مؤثّراً لما يتمتع بهِ من سمة تركيبية قائمة على استعمال الصيغ الاستفهامية، ومثله اسلوب النفي إذ أدَّى وظيفةً بلاغيةً أفصحت عن مقاصد الشاعر؛ إذ تنوعت أغراضه وأساليبه بتنوع تلك المقاصد التي أراد إيصالها إلى المتلقي، ثمَّ الكشف

* دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية/ ديوان الوقف السّني.

* دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية/ ديوان الوقف السّني .

عن الخصائص المعنوية التركيبية البارزة في اسلوبَي التقديم والتأخير، التي تُعد مِن المهيجات الفاعلة التي وظفها الشاعر للتعبير عن مقصده، فضلاً عن التعريف والتنكير وكيف أنّهما شكّلا ملمحاً بلاغياً مهماً للتعبير عن أفكار الشاعر.

Abstract:

This research revolves around the orbit of the analytical study of the structural methods in the poetry of Al-Hakam bin Abdul Al-Asadi (d. circa ١٠٠ AH), a poet from the Umayyad state who was known - among the poets of his class - for satire, and through which he dealt with many situations and events in that era, so he deserves attention, study and analysis of his poetic production. This research aims to show that the Arabic language is one of the richest languages in terms of grammatical and rhetorical rules, In addition to the multiplicity of speech and expression styles, then revealing the poet's difficult life – the research model – and his disability that made him a satirical poet with a malicious tongue, about those who consider him a distinguished poet, advanced in his class, in addition to revealing the rhetorical structural styles in Al-Hakam's poetry, most notably interrogation and negation, and how interrogation formed an influential semantic dimension due to its structural characteristic based on the use of interrogative formulas. The same applies to the negation style, as it performed a rhetorical function that revealed the poet's intentions; its purposes and methods varied according to the variety of those intentions that he wanted to convey to the recipient, then revealing the prominent semantic and structural characteristics in the styles of presentation and delay, which are considered effective stimuli that the poet employed to express his intention, in addition to the definition and indefiniteness and how they formed an important rhetorical feature to express the poet's ideas.

المقدّمة

الحَمدُ لله ربّ العالمين والصّلاةُ والسّلامُ على سيّدِ الأولين والآخرين سيدنا مُحمّد وعلى آلهِ وصحبهِ الطيبين الطاهرين وبعد...

يدورُ هذا البحث في فَلك الدراسة التحليلية للأساليب التركيبية في شِعر الحَكَم بن عَبدل الأسدي (ت: نحو ١٠٠هـ)، وهو شاعر مِن شعراء الدولة الأُموية عُرف – بين شعراء طبقته– بالهجاء، وقد خاض مِن خلالهِ كثيراً مِن المواقف والأحداث في ذلك العصر، لذلك يستحق العناية والدراسة والتحليل لنتاجه الشعري، ولاسيما أنَّ الشاعر لم يسبق – بحسب علمي– أنّه دُرِس دراسة وافية، بل لم يسبق لأحدٍ أن اختاره لبحث علمي.

لذلك أخترت هذا البحث للوقوف عند هذا الشاعر ودراسة الأساليب التركيبية في شعره، معتمداً على ما تناقلته الكتب مِن أشعاره، وفي ضوء ما جمعته في هذه الدراسة لاحظت أنَّ أغلب شعره جاء مقطوعات، فلم تجد قصائد طويلة إلَّا الشيء القليل، وقد جَمعَ شعره الدكتور محمد نايف الدليمي ونشره في مجلة المورد العراقية تحت عنوان ((شِعر الحَكم بن عبدل الأسدي)) بعددها الرابع، المجلد الخامس للعام ١٩٧٦م.

تُعدّ مشكلة التحليل السطحي للنصوص الأدبية هي مشكلة أغلب الدراسات الأدبية التي تدّعي دراسة النصوص دراسة علمية، وذلك لأنّ الباحث إذا ما أراد الوصول إلى المعنى الصحيح والمقبول فلابدّ له مِن أن يسبر أغوار النّص مِن خلال دراسة أساليبه البلاغية مِن أكثر مِن جانب، ولا نقول دراسة تقليدية إحصائية فحسب؛ بل دراسة تتناول التركيب بصفة كلية معتمداً السياق، وهذا لا يتحقق بالصورة المطلوبة ما لم يحط المحلّل/ الباحث بآليات التحليل المعاصرة ولاسيما الاسلوبية منها، ومِن هذهِ المشكلة جاء هذا البحث ليكشف عن مكنونات النّص مستفيداً مِن الدراسات الحديثة ولاسيما الاسلوبية في محاولة لإظهار المعنى المقصود بأجمل صورة وأكثر تأثير.

ويتساءل البحث هل تعد الأسلوبية المعاصرة نمطاً جديداً مستقلّاً بذاته، أم أنّه مرتبط بجذور تأريخية مهّدت لتكوينه؟ ثمَّ ما هي الصورة التركيبية؟ أعني مكوناتها، ومقاصدها، ثمَّ كيف يمكن

استغلال مراتب (التركيبية) للكشف عن مكنونات النص الأدبي؟ فهذه الاسئلة وغيرها تحاول هذه الدراسة الكشف عنها.

وتهدف الدراسة إلى بيان أنَّ اللغة العربية هي مِن أكثر اللغات الغنية بالقواعد النحوية والبلاغية، وتعدد أساليب الكلام والتعبير، ثمَّ الكشف عن حياة الشاعر – نموذج البحث– الصعبة وإعاقته التي جعلت منه شاعر هجاء خبيث اللسان، عمّن يعدّه شاعراً مجيداً مقدماً في طبقته، فضلاّ عن الكشف عن الأساليب التركيبية البلاغية في شعر الحَكَم وعلى رأسها الاستفهام والنفي، وكيف شكَّل الاستفهام بُعداً دلالياً مؤثّراً لما يتمتع بهِ من سمة تركيبية قائمة على استعمال الصيغ الاستفهامية، ومثله اسلوب النفي إذ أدَّى وظيفةً بلاغيةً أفصحت عن مقاصد الشاعر؛ إذ تنوعت أغراضه وأساليبه بتنوع تلك المقاصد التي أراد إيصالها إلى المتلقي، ثمَّ الكشف عن الخصائص المعنوية التركيبية البارزة في اسلوبَي التقديم والتأخير، التي تُعد مِن المهيجات الفاعلة التي وظفها الشاعر للتعبير عن مقصده، فضلاً عن التعريف والتنكير وكيف أنّهما شكّلا ملمحاً بلاغياً مهماً للتعبير عن افكار الشاعر.

لقد قامَ هذا البحث على تمهيد ومطلبين، وخاتمة أجملتُ فيها النتائج، فوقفت في التمهيد على شيء مِن الاساليب التركيبية وحياة الشاعر، ثمّ تناولتُ في المطلب الأول الأساليب التركيبية لأسلوبَي؛ هما: (اسلوب الاستفهام، وأسلوب النفي)، أمَّا المطلب الثاني: فتناولت فيه الخصائص الفنية لأسلوبَي (التقديم والتأخير والتعريف والتنكير).

وقد استفدتُ مِن مصادر عديدة في كتابة هذا البحث؛ أبرزها: (كتاب الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني (٣٥٦هـ)، وكتاب دلائل الاعجاز للشيخ عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ)، وكتاب تحولات البنية في البلاغة العربية لبحيري أسامة) وغيرها مِن المصادر والمراجع الي أثبتُّ بطاقاتها في نهاية هذا البحث.

التمهيد:

أوَّلاً: التعريف بالأساليب التركيبية:

ميدان هذا العلم البناء النحوي للجملة العربية شكلاً ودلالة، إذ إنَّ للنحو وظيفة واضحة فيها، فليس الغرض منه هو رفع الكلمات أو نصبها أو جرها؛ بل إيراد المعنى الحسن في اللفظ الحسن[١]، وقد وجّه بعض اللغويين المحدثين جلّ اهتمامه لدراسة الاساليب اللغوية بزعم أنّ دراستها لا غنى عنها في دراسة اي لغة؛ كأسلوب الاستفهام والنفي التوكيد وغيرها، فلكل اسلوب لغوي دلالته الخاصة به، وقد تخرج هذهِ الدلالة في بعض الأساليب إلى دلالات أخرى، فتصبح حينئذ سمة أسلوبية خاصة، كخروج اسلوب الأمر إلى معنى الدعاء أو التعجب وغير ذلك[٢].

ويرتبط هذا الميدان ارتباطاً وثيقا بعلم المعاني، والأخير يُعد واحداً مِن علوم البلاغة الثلاثة: المعاني والبيان والبديع، وقد أشارَ إليهِ المصنفون القدامى، وإنَّ أهم ما يميز هذا العلم ارتباطه بالنظم النحوي فهو ((علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال))[٣]، وكانت مسائل هذا العلم تدور في كتب البلاغة مِن دون إشارة إلى اسمه، وعنه قال الجاحظ (٢٥٥هـ): ((المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجميّ والعربيّ، والبدويّ والقروي، والمدنيّ، وإنّما الشّأن في إقامة الوزن، وتخيّر اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحّة الطبع وجودة السّبك))[٤]، ووقف عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) في تحليل التراكيب على علم النحو إذ قال: ((وهل تجد احداً يقول هذهِ اللفظة فصيحة إلَّا وهو يعتبر مكانها مِن النظم، وحسن ملائمة معناها لمعاني جاراتها وفضل

(١) ينظر: المثل السائد في ادب الكاتب والشاعر: ١/ ٥٥-٥٦.

(٢) ينظر: النثر الفني في ثورة التوابين وأمارة المختار الثقفي: ٢١٨.

(٣) الايضاح في علوم البلاغة :٩.

(٤) الحيوان :٣/ ٦٧.

مؤانستها لأخواتها))[١]، ولقد بقيت هذهِ الإشارات بدون تسمية صريحة حتى مجيء السكاكي فوضع لهذا العِلم اصطلاحاً[٢].

ثانياً: حياته:

هو الحَكم بن عبدل بن جبلة بن عمرو بن ثعلبه بن عقال بن بلال بن سعد بن نصر بن غاضرة بن مالك بن ثقيلة بن دُودان بن اسد بن خزيمة[٣]، اشتهر باسم الحَكم بن عبدل الاسدي، وهو مِن شعراء الدولة الأُموية، مُجيد مُقدَّم في طبقتهِ، ووُلِد في الكوفة ونشأ فيها وكان من أصحاب العاهات؛ فقد كان أعرجاً وأحدباً في الوقت نفسهِ[٤]، وبما أنَّه أعرج وأحدب فقد كانت لديهِ عصا لا تفارقه أبداً، وعندما كبر في السن قام بالوقوف على أبواب الملوك، وكان يكتب كل حاجة يريدها مِن الملوك على عصاه فيبعثها مع رسول فهو لا يُرَد له رسول ولا تؤخر له حاجة[٥].

وكان ابن عبدل معروفاً موهوباً بسبب هجائه[٦]، فقد كان هجاؤه خبيث اللفظ، وذاعت قصائده على لسان الكوفيين، وقد كتب في غير الهجاء، فقد كتب في غرض المديح؛ فمدح الملوك والأُمراء، وكذلك له في الرثاء؛ فرثى أصحابه ومَن مات من الملوك أو الأُمراء، وكتب في الغزل والحكمة أيضاً، فقد كتب الحكمة على شكل أبيات ومقطوعات، وفي بعض الاحيان تتداخل الحكمة مع الرثاء، وكان بعيداً عن الخُلُق الكريم، يتكسّب بالشِّعر، ويذل نفسه بالخضوع والكذب، ويروى أنّه كان مدمناً للشراب، كثير المجون، كما كان مرحاً في حياته، فَكِهاً طيب العشرة والمنادمة[٧]، توفي نحو ١٠٠هـ[٨].

---

(١) دلائل الاعجاز: ٣٦.

(٢) ينظر: المباحث البلاغية في ضوء قضية الاعجاز القرآني نشأتها وتطورها حتى القرن السابع عشر الهجري: ١٧٢-١٧٣.

(٣) الأغاني: ٢/ ٢٥٦.

(٤) ينظر: الأغاني: ٢/ ٢٥٦.

(٥) ينظر: شعراء العرب: ٦٣٥.

(٦) ينظر: شعراء العرب: ٦٣٥.

(٧) ينظر: الأمالي: ٢٥٦.

(٨) ينظر: الأعلام: ٢/ ٢٦٧.

المطلب الأول: الأساليب التركيبية

أوَّلاً: اسلوب الاستفهام:

الاستفهام طلب الفهم، وهو استخبارك عن الشيء الذي لم يتقدم لك علم بهِ، فهو: ((طلب المراد مِن الغير على وجهة الاستعلام))[١]، والاستفهام في حقيقته الدلالية التركيبية يسعى إلى تحويل التركيب الإخباري إلى استفسار باستعمال أدوات خاصة وتنغيم معين[٢]، والخطاب الاستفهامي مِن شأنِهِ تأدية الوظيفية التعبيرية الناتجة عن تداعيات السياق، وذلك بتكوين حَلقة ديناميكية متواصلة بين الكاتب والمتلقي؛ وذلك بفعل الاشارة والاستجابة[٣]، وقد مثّل اسلوب الاستفهام في شِعر الحَكم منحنى بارزاً وذلك لما يتمتع مِن سمات تركيبية قائمة على الصيغ الاستفهامية بحسب غرض الشاعر، ومن أسئلته ما نجده في قولِهِ[٤]:

يا ليت شعري وليت ربما نفعت هل أبصرن بني العوام قد شملوا
بالذل والاسر والتشريد انهـــم على البرية حتف حيثما نزلـــوا
أم هل اراك بأكناف العراق وقد ذلت لعزك اعداء وقد ثكلـــــوا

نلاحظ تكرار أسلوب الاستفهام في النص بالأداة (هل)، ممّا شكل طابعاً تركيبياً اسلوبياً ألقى بظلالهِ على متلقيه، إذ لَم يكن هذا الاستفهام جارياً على حقيقته؛ بل تحوّل إلى دلالة أخرى تُفهم مِن سياق الكلام، فالاستفهام (هل أبصرن؟) الذي دخل على الفعل المضارع فأفاده الاستقبال، وكذلك (هل أراك؟) الذي دخل على الفعل الماضي فدلَّ على التقرير وطلب إقرار المخاطب بما يرده الشاعر، فقد أفاد هذا الاسلوب في تنويع المعاني، إذ أراد الشاعر مدح عبد الملك وهجاء بني

(١) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز: ٥٧٢.
(٢) ينظر: الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم: ٥٧٩.
(٣) ينظر: اسلوبية البيان العربي: ١٥٩.
(٤) شِعر الحكم بن عبدل الاسدي: محمد نايف الدليمي: ٩٩.

العوام، فأستثمر الشاعر الاستفهام ليعطي إشارات إلى المتلقي لفهم النص تبدأ منها عملية توليد الدلالة لتبدي فاعليتها في ذهن المتلقي بفضل دلالة الاستفهام ومالهاِ من تأثير(١).

ومِن أسلوب الاستفهام ما نجده في قصيدته الطويلة التي يهجو فيها أحمد بن حسان، إذ قال فيها(٢):-

وقلتُ له متى استطرفت هـــذا فقال اصابني مِن جوف مهـــدي

فقلتُ له أمَا داويت هـــذا فتعذر فيه آمالاً بجهـــد

فقال أمَا علمت له رقـــاء فتسديه لنا فيما ستســـدي

فقلتُ له ولا آلوه عيـــا لـــه فيما أسرّ لهُ وأبـــدي

يطرح الشاعر في هذهِ الأبيات الشعرية تساؤلات عديدة يكرر فيها الاستفهام بالأداتين (متى، الهمزة) و- هنا- خرج الاستفهام على صيغته الأصلية فأبرز لنا معنى دلالياً ظهرت فيه الحالة الشعورية للشاعر، وهي تارة للتقرير؛ وأُخرى للتوبيخ؛ وثالثة للسخرية، و- هنا- تكمن أهمية الاستفهام في تحويل دلالته الحقيقية إلى دلالة نفسية، وهو ما يطلبه الشاعر المبدع مِن الغرض اللغوي الذي تتميز بهِ هذهِ الصيغ الاستفهامية(٣)، والاستفهام حمل معنى التوبيخ والسخرية في قولهِ (أما عملت له رقاء؟) قد عُضِّد بالأسلوب الحواري الدرامي، فهو يصطنع حواراً ساخراً دار بينه وبين المهجو فيسأله: ألَم تحاول أن تعالج وتداوي رائحة فيك الكريهة البشعة؟ فيرد المهجو طالباً النّصح، ثم يرد عليه على سبيل السخرية والتوبيخ، فالشاعر قد هاجم بكل ما أوتي من حول فني على المهجو في الإضحاك والسخرية، أظهر ذلك الحوار الدرامي الذي تميز بالحيوية والقدرة على التأثير(٤).

ثانياً: اسلوب النفي:

هو اسلوب بلاغي تحدّده مناسبات القول، وفيه نقض وإنكار، يحمل معنى عقلياً مشتركاً بين جميع العقول، ويفيد عدم ثبوت المسند للمسند إليهِ في الجملة الفعلية والجملة الأسمية(٥)، ويكون في

(١) ينظر: تحولات البنية في البلاغة العربية: ١٠٧.

(٢) شِعر الحكم بن عبدل الاسدي: محمد نايف الدليمي: ١٠٦.

(٣) ينظر: اللغة الابداعية، دراسة اسلوبية لأعمال جبران خليل جبران العربية: يوسف محمد الكوفحي: ٥٣.

(٤) ينظر: شعر الحَكم بن عبدل الاسدي: ورد محمدي مكاوي عزب: ٣١٠- ٣١٢.

(٥) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه: د. مهدي المخزومي: ٢١٤.

الغالب بصيغة تشعر بهذا النفي، فهو ((إخبار عن ترك الفعل))[١]، ويُعد باباً مِن أبواب المعنى، إذ يهدف فيه المتكلم إلى إخراج التركيب اللغوي مِن حكمهِ المثبت إلى ضدهِ.

وللنفي أدوات هي ((ليس، لم ، لما، ما ، لا، لن))[٢]، ولكل أداة دلالة تبرر الواضع لها دون غيرهما لتحديد ما تتضمنه مِن توجيه دلالي للأقوال، فللأدوات في الاستعمال العربي قرائن لفظية مهمة، تشترك جميعها في الدلالة على معان وظيفية خاصة مثل النفي، والاستفهام، والشرط وغيرها مِن المعاني إلى جانب المعنى الوظيفي العام[٣].

وللنفي أغراض في الكلام، فهو يخرج الحُكم مِن تركيب لغوي مثبت إلى ضده، وتحويل معنى ذهني فيهِ الإيجاب والقبول إلى حُكم يخالفه، وقد ورد اسلوب النفي بكثرة في شعر الحَكم منها ما قاله في مدح أبي طلحة[٤]:

يا أبا طلحة الجواد أغثنـــــــــي بسجال من سَيبك المقســـــوم[٥]
قد علمتم: فلا – تعامس عنـــي- ما قضى الله في طعام اليتيـــم
ليس لي غير جرة وأصيـــــص وكتاب منُمنم كالوشـــــــوم
وكساء ابيعه برغيـــــــــفٍ قد رقعنا خُروقه بأديـــــــم
غرقا لا يغيثه الدهـــــــــر إلَّا زبد فوق رأسه مركـــــــوم
مخرجا كفه ينادي ذبابـــــــــاً أن أغثني فإنني مظلـــــوم
قال ذرني فلن أطيق دنـــــــوا مِن نبيذ يشمه المزكـــــــوم

في النص نلحظ توظيفاً مكثفاً لأسلوب النفي بأدواته (لا، ما، ليس، لن) أسهمت في إيصال ما يدور في ذهن الشاعر عن ممدوحه إلى المتلقي، فمنحت هذهِ الأدوات النص منحى دلالياً عمل

(١) التعريفات: ٢١٩.
(٢) شرح المفصل: ٥/ ٣١.
(٣) ينظر: انشاء النفي وشروطه النحوية والدلالية: ١١٧.
(٤) شِعر الحكم بن عبدل الاسدي: محمد نايف الدليمي: ١١٤– ١١٥.
(٥) السّجال: بفتح السِّين؛ جمع (سَجل) الدّلو العظيمة المملوءة، و(السيب): العطاء. ينظر: لسان العرب: ١٨٥/٢، مادة (سجل)، و ١/ ٤٧٧، مادة (سيب).

على تعميق المعنى، فلكل أداة معنى، إلَّا أنَّها غير قادرة على تحديد معنى الجملة بمفردها؛ بل تتداخل عناصر الجمل لتحدد المعنى المقصود، وتتشارك مِن خلال تواشجها وتضافرها مع مجموعة مِن القرائن النحوية والسياقية(١).

وللأدوات دلالة زمنية فرضي ترشح الحدث لزمن معين، فاقترانها بالفعل يحدد زمنيته، وممّا لا يخفى أنّ الزمن أحد أهم دعامتين في هيكل الفعل إلى جانب الحدث الذي يجري فيه(٢)، وهذا ما حدث في الشكوى مِن الزمان وطلب العطاء مِن الممدوح، فضلا عن الأساليب الأخرى كالنداء (يا أبا طلحة)، واسلوب الأمر (أغثني) ، وأسلوب النهي (لا تعامس)، ليوضح سوء حاله ومدى لهفته وحاجته للعطاء.

ومِن أسلوب النفي أيضاً ما نجده في قول الحَكم في رثاء بني زر؛ إذ قال(٣):

أبَعْدَ بَني زر وبعد ابن جنـــــــدل وعمرو أرجي لذة العيش في خفـــــض؟
وأقضي على نفسي إذا الحق نابني وفي الناس من يُقضى عليه ولا يقضي
وأمضي همومي بالزماع لوجههـــا إذا ما الهموم لم يكد بعضها يمـــــض(٤)
واستنقذ المولى مِن الأمر بعدمـــا يزل كما زل البعير عن الدحـــــــض(٥)
وأمنحه مالي وودي ونصرتـــــي وإن كان محني الضلوع على بعضـــــي
ويغمره سيبي ولو شئت نالـــــه فوارع تبري العظم من كلم مـــــــض(٦)
ولست بذي وجهين في مَن عرفته ولا البخل فاعلم من سمائي ولا أرضـي

إنَّ التنوع في استخدام ادوات النفي (لا، لم) له دوره في توسيع ميدان التصور الموظف لتحقيق التوافق بين التراكيب، ولبيان آثارها الدلالية في التعبير عن غرض النص في حمل المتلقي على استشعار ما شعر بهِ المرسل تجاه الأحداث، فضلاً عن الحزن والألم، فكانت ردة فعل الشاعر في

(١) ينظر: الدلالة السياقية: ٦٧.
(٢) ينظر: أقسام الكلام العربي: ٣٤.
(٣) شِعر الحكم بن عبدل الاسدي: محمد نايف الدليمي: ١٠٩- ١١٠.
(٤) الزماع: المضي في الأمر. ينظر: لسان العرب: ٨/ ١٤٤، مادة (زمع).
(٥) الدحض: الزلق وعدم الثبات. ينظر: لسان العرب: ٧/ ١٤٨، مادة (دحض).
(٦) المض: الحُرْقة، أو ما بلغ القلب مِن الحزن. ينظر: لسان العرب: ٧/ ٢٣٣، مادة (مضض).

استخدام أدوات النفي، فهو ينقل حزنه الشديد برثاء أبناء عمومته بني زر بن حبيش الغاضري الذي أفناهم الطاعون، فهو بائس مِن أن يعيش في خفض ولن يذوق لذه العيش بعدهم، فبُنية النفي تمتلك دلالة قوية للتعبير عن المعاني، تكون أبلغ فيما لو أديت بصيغة أخرى كاستخدامه الأداة لا، والتي تفيد نفي ما بعدها نفي شاملاً وعاماً[١].

المطلب الثاني: الخصائص المعنوية للتراكيب:

أولاً: التقديم والتأخير:

التقديم والتأخير ظاهرة بلاغية تثري لغة النص الأدبية؛ وذلك لأنَّها تحقق غايات دلالية ومعنوية مِن خلال تغيير مواقع الألفاظ لغرض يتطلبه المقام، وهو مِن الأبواب التي طرقها اللغويون والبلاغيون والنقاد القدماء[٢]، فقد عقد بعضهم له باباً مستقلّاً؛ وتناولوا فيه شواهد قرآنية وشعرية، فقال عنه عبد القاهر الجرجاني: ((باب كثير الفوائد، جَمّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قدم فيه شيء، وحول اللفظ عن مكان إلى مكان))[٣] ذلك لأنّ تحولات البنية عبر هذهِ الظاهرة لها أهميتها البالغة في الصياغة الأدبية للنص، إذ تلد تراكيب جديدة مغايرة للتراكيب الذي وضعت له عليه محققة بذلك مستوى دلالياً جديداً[٤].

إنَّ لإسلوب التقديم والتأخير نصيب في شِعر الحَكم، ومِن ذلك ما نجده في قولهِ وهو يصف حالة قد حبس مع صديق له[٥]:

أقول ليحيى ليلة الحبس سـادراً ونومي بهِ نوم الأسير المقيـــد[٦]
أعنّي على رعي النجوم ولحظها أعنك على تحبير شعر مقصَّـــد[١]

(١) ينظر: دلائل الاعجاز: ١٢٤.
(٢) ينظر: اسلوبية الانزياح في شعر المعلقات: ٦٧.
(٣) دلائل الاعجاز: ١٠٦.
(٤) ينظر: في نحو اللغة وتراكيبها: ٨٨.
(٥) شِعر الحكم بن عبدل الاسدي: محمد نايف الدليمي: ١٠٤.
(٦) سادرا: متحير البَصَر: ينظر: لسان العرب: ٤/ ٣٥٥، مادة (سدر).

كلانا إذا العكاز فارق كفـــــــه ينيخ صريعاً أو على الوجه يسجد
فعكازة تهدي إلى السبل أكمَهَــاً وأخرى مقام الرجل قامت مع اليــد

يقوم النص على أحداث حركة في سياق البنى التركيبية في تقديم شبه الجملة (على الوجه) على الفعل (يسجد)، وتقديم الفاعل (العكّاز) على الفعل (فارق) ، ثمّ تقديم الفاعل (عكازة) على الفعل (تهدي)، فتلحظ أنَّ شيوع التقديم قد شكَّل ملمحاً دلالياً بارزاً، فأفاد التقديم التنبيه والتخصيص، ممّا أسهم في إحداث منبه أدى دوره الدلالي، وليشد انتباه المتلقي في رسم الصورة والإشارة إلى حالهِ وحال صديقه، فهما يعانيان مِن عجز ذلك لأنَّه مقعد، وصديقه أعمى، و- هنا- يبرز اسلوب الشاعر في إيصال مشاعره وأفكاره ومقصده، وهو ما يؤكد حضور فاعلية التقديم والتأخير في الخطاب[٢].

ومِن اسلوب التقديم والتأخير ما تجده في رثاءه البِشْر بن مروان؛ إذ قال فيهِ[٣]:

أصبحت جم بلابل الصـــــدر متعجباً لتصرّف الدّهـــــر[٤]
مازلت أطلب في البلاد فتـــى ليكون لي ذخراً مِن الذخر
ويكون يسعدني وأسعـــــده في كلِّ نائبة مِن الأمـــــر
حتى إذا ظفرت يداي بـــــهِ جاء القضاء بحينه يجري
إنّي لفي هم يباكرنـــــــــي منه وهم طارق يســـــري
فلأصبرنَّ، ومـا رأيـــت دوى للهم غير عزيمة الصّبـــر
والله ما استعظمت فرقتـــــه حتى أحاط بفضله خبـــري

---

(١) مقصّد: مِن القصيد، وهو كل سبعة أبيات مِن الشِّعر القريض دون الرَّجز. ينظر: شِعر الحكم بن عبدل الاسدي: محمد نايف الدليمي: ١٠٤.

(٢) ينظر: الكتابة في درجة الصفر: ٨١-٨٣.

(٣) شِعر الحكم بن عبدل الاسدي: محمد نايف الدليمي: ١٠٨.

(٤) بلابل: جمع بلبال وهو شِدّة الهم والوسواس في الصّدر. ينظر: تاج العروس: ٢٨/ ١١٤.

يشهدُ النَّص انزياحاً تركيبياً مميزاً، تمثل بتقديم شبه الجملة (في كلّ)، (بحينه) على المبتدأ بغية إبراز المخصوص بالتقديم وأهميته، وكذلك تقديم الجار والمجرور على المفعول بهِ (أحاط بفضله خبري)، فأدّى هذا التقديم سمة دلالية عملت على إبراز مشاعر المبدع التي يريد إيصالها إلى المتلقي، فهو فتى نادر الوجود؛ وأنَّ الحصول على مِثْل هذا الفتى يعد مكسباً ضخماً فهو انتصار له، وكذلك الصفة (جم البلبل) على المفعول به (متعجباً)، وتقديم شبه الجملة (في البلاد) على المفعول بهِ (فتى)، فأعطى هذا التقديم إيحاءً دلالياً يتوافق مع الإيحاء النفسي، وذلك يتمثل مع كثرة الانفعالات التي توالت على المتلقي، فصورة التقديم – هنا- شكّلت بُعداً دلالياً تفاعل مع نَفَس الشاعر في رثاء (بِشر) فيصور فجيعته ويجسد همومه التي جثمت على صدرهِ، فهو يتعجب مِن تصريفات الدهر، فهو ما يزال يطلب مِن الزمن أن يجود عليه بفتى كريم يكون له نِعم المعين في النوائب والملمات، وبهذا غدت بنية التقديم مهيمنة على فضاء النص، إذ رسمت رموزاً ودلالات وأبعاداً في داخل التركيب اللغوي[١].

ثانياً: التعريف والتنكير:

هي ظاهرة مِن ظواهر البلاغة البارزة، تعطي المرونة في صياغة الجملة، فضلاً عن التفنن في بناءها التركيبي، وهو شائع في كل اللغات الإنسانية، وذلك لأنّه يمثل ((قيمة تعبيرية متنوعة بفضل المعاني التي يخرج إليها والتي ترتبط ارتباطاً واسعاً بالسياق مِن إيراد المعرفة والنكرة))[٢]، ويرى أهل اللغة أنَّ المعرفة ما دلَّ على شيء بعينه، والنَّكرة ما شاع في أمته كقولك: جاءني رجل، و: ركبت فرساً[٣]، فـ ((لدلالة التنكير في اللغة أثرها في مجرى العبارة بالموازنة مع حالة التعريف التي تمثل نمطاً مغايراً في دلالتها، لذا فأنَّنا نلاحظ تصرف إليهِ عند الاستعمال))[٤]، لذلك فإنَّ

(١) ينظر: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة: ٨٩.
(٢) الآيات القرآنية المتعلقة بالرسول (صلى الله عليه وسلم) دراسة بلاغية واسلوبية: ٢٣٦.
(٣) ينظر: المفصل: ٢٤٥، وينظر: البرهان الكاشف عن اعجاز القران: ٣٣.
(٤) المباحث الاسلوبية عند ابن جني: ٤٤.

للتعريف والتنكير دلالات مختلفة، ونلاحظ هذهِ الدلالات بصورة مكثفة في شِعر الحَكم بن عبدل الأسدي منها ما قاله في الهجاء[١]:

رأيت محمداً شَرَهاً ظلومـــــاً وكنت أراه ذا ورع وقصـــد[٢]
يقول أماتني ربي خداعـــاً أمات الله حسان بن سعـــد
فلولا كسبه لوجدت فَسْـــلا لئيم الكسب شأنك شأن عبـد[٣]
نجوت محمداً ودخان فيـــه كريح الجعر فوق عطين جلد[٤]
ركبت إليهِ في رجل أتانـــي كريم يطلب المعروف عنـدي
فقلت له ولم أعجل عليـــه وذلك بعد تقريظي وحمـــدي
فقلت له وبعض القول نصح ومنه ما أسر له وأيـــــدي
توق دراهم البكري أنـــــي أخاف عليك عاقبة التعـــدي
فاعرض مكمحا عني كأنّـــي أكلّم صخرة في رأس صمـــد[٥]
أقرب كل آصره ليدنـــــو فما يزداد مِنّي غير بُعـــــد

في النَّص المتقدم شكَّلت ظاهرة التعريف والتنكير سلسلة مِن الترابطات، أفصحت عن قصد النص دلالياً، وبرّزت درجة العلاقة بين المخاطِب والمتلقي، وأفضت إلى دلالات قصدها الشاعر بغية إيصال المعنى إلى المتلقي، فأفاد النص مِن الطبيعة الصياغية لها، فنلحظ تارة أنّه ذكر الاسم المعرفة بصورة صريحة للمهجو(محمدا) ثُمَّ كرَّره في أبيات القصيدة (نجوت محمداً ودخان) فأفاد تحضير ذهن المتلقي، إذ قدَّم ذكره في أبيات القصيدة، ثمَّ تارة أخرى يذكر المهجو مِن خلال الضمائر أو التعريف بكلمات تهجو ساقياً محمداً (لئيم الكسب، كريح الجعر، عطين جلد، رأس

(١) شِعر الحَكم بن عبدل الأسدي: محمد نايف الدليمي: ١٠٥، وهذهِ في هجاء محمد بن حسان بن سعد التميمي، كان والياً على خراج الكوفة، وكان الحَكم بن عبدل كلمه في رجل من العرب أن يضع عنه ثلاثين درهماً من خراجه، فقال: أماتني الله إن كنت أقدر أن أضع من خراج أمير المؤمنين شيئا! فهجاه الحكم بهذه القصيدة دالية. ينظر: البرصان والعرجان والعميان والحولان .: ١٦٦.

(٢) شَرها: الشره: ((أسوأ الحرص، وهو غلبة الحرص)). لسان العرب: ١٣/ ٥٠٦، مادة (شره).

(٣) فَسْلاً: الفَسْل: ((الرَّذل النذل الذي لا مروءة له ولا جلد)). لسان العرب: ١١/ ٥١٩، مادة: فَسْل.

(٤) الجعر: ((ما يبس من الثفل في الدبر أو خرج يابساً)). لسان العرب: ٤/ ١٤٠، مادة: (جعر). و العطين: ((مُنْتَنّ البَشَرة)). لسان العرب: ١٣/ ٢٨٨، مادة (عطن).

(٥) مُكمَحاً: بضم الميم الأولى وفتح الثانية، الذي يرفع رأسه زهواً وتكبّراً. ينظر: لسان العرب: ٢/ ٥٧٥، مادة: (كمح)، والصَّمُد: المكان المرتفع. ينظر: لسان العرب: ٣/ ٢٥٩، مادة: (صمد).

صمـــــد، عاقبة التعــدي، البكري، حسان، سعد، الجعر، المعروف، البكري) وهذا التعريف المكثَّف عمل على تحريك دلالات النص التي عبّر عنها الشاعر تجاه المهجو، فبرّز فيه صفات البخل واللوم والضعف وعدم المروءة، وجعل شأنه كشأن العبيد.

ثمَّ اعتمد الشاعر على اسلوب التنكير في كلمات عِدّة؛ منها: (شَرَه، ظلوم، فَسْل، مكمح، صخرة، ورع، قصد، كريم) وقد أفاد خلالها التخصيص والتحقير، إذ أراد وصف المهجو بأسوأ الأوصاف حتى أنَّه أتى بمعان لم تكن شائعة عند مَن سبقوه مِن الشعراء، فوصف فَم المهجو بأنَّه نتن الرائحة، أو كرائحة الكلب قد مات منذ عهد قريب، أو ثعبان نتن الرائحة وهذهِ الرائحة تمتد من العراق إلى نجد، فضلاً عن تعضيد المشاعر لأسلوب التعريف والتنكير بأساليب وفنون أخرى؛ كأسلوب الشرط (فلولا كسبه)، واسلوب النفي (ولم اعجل، ولا صادقت)، والطباق (صدق أكذب)، (أسر، ابدي)، والجناس (معد، حمد، حمدي، حمد) إذ حققت ترابطاً على مستوى نص احد طرح فيه الشاعر افكاره من خلالها[١].

لذلك أمكننا القول بأنَّ إسلوبَي التعريف والتنكير قد لعبا دوراً بارزاً في تعضيد المعنى، فمنحت الأخير القوة والجمال في الوقت نفسه، فالتعريف أسهم في زيادة التأكيد على المعاني المعرّفة والمحدّدة، بينما أسهم التنكير – بغموضيته– في فتح آفاق واسعة وإيحاءات متعددة ممّا أعطى للمتلقي الحرية والمرونة في رسم صورة متكاملة وغير جامدة للمعنى.

خاتمة البحث

الحمدُ لله ربّ العالمين والصلاةُ والسلامُ على أشرف المرسلين وبعد...

فأنّ هذهِ الرّحلة مع شِعر الحَكم بن عبدل الأسدي لابدّ مِن الإشارة إلى بعض الخطوط العامة التي تمثل خلاصة ما توصل إليهِ البحث مِن خلال استنطاق نصوصه الشعرية وأهمها:

١. إنَّ غِناء اللغة العربية بالقواعد النحوية والبلاغية – فضلاً عن تعدد أساليب الكلام والتعبير– أسهم في الكشف عن جماليات النفس والنص على حدّ سواء.

٢. كشفت المصادر عن حياة الشاعر الصعبة وإعاقته التي جعلت منه شاعرَ هجاءٍ خبيث اللِّسان، عما يعد شاعر مجيد مقدم في طبقته.

(١) ينظر البلاغة والاسلوبية: ٢٦.

٣. ضمَّ شِعر ابن عبدل معظم الأساليب التركيبية البلاغية وأهمها الاستفهام والنفي؛ إذ شكلت بُعداً دلالياً واضحاً؛ وذلك لما تتمتع بهِ مِن سمة تركيبية قائمة على استعمال الصيغ الاستفهامية، وكذلك اسلوب النفي، إذ أدّى وظيفة بلاغية عبر خلالها عن مقاصد الشاعر، إذ تنوعت أغراضه وأساليبه يتنوع تلك المقاصد التي أراد إيصالها إلى المتلقي.

٤. شكّلت الخصائص المعنوية التركيبية قيمة بلاغية بارزة في شِعر الحَكَم، فالتقديم والتأخير مِن المهيجات الفاعلة التي وظفها الشاعر للتعبير عن مقصده مِن خلال تقنياته، وكان تقديم الجملة أكثر التقنيات استخداماً، أمَّا التعريف والتنكير فشكّل هو الآخر ملمحاً بلاغياً مهماً للتعبير عن أفكار الشاعر ومشاعره، فشكلت بُعداً دلالياً نفسياً ارتكز عليه الشاعر للتعبير عن حالته النفسية.

المصادر والمراجع:

- الآيات القرآنية المتعلقة بالرسول (صلّى الله عليهِ وسلَّم) دراسة بلاغية واسلوبية، ا. د عدنان جاسم محمد الجميلي، مركز البحوث والدراسات الاسلامية، ديوان الوقف السني، بغداد، العراق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.
- اسلوبية الانزياح في شعر المعلقات: عبد الله خضر حمد، عالم الكتاب الحديث للنشر والتوزيع، ٢٠١٣م.
- الأسلوبية والبيان العربي: د. محمد عبد المنعم، و: د. محمد السعدي فرهود، و: د. عبد الفريد شريف، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٢م.
- الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، أيار / مايو ٢٠٠٢ م.
- الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني (ت: ٣٥٦هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، و: د. ابراهيم السعافين وآخرون، دار صادر بيروت، ٢٠٠٢م.
- أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة: فاضل مصطفى الساقي، تمام حسان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٧م.
- الأمالي: أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (ت: ٣٥٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
- إنشاء النفي وشروطه النحوية والدلالية: شكري منحوت، مركز النشر الجامعي، تونس، ٢٠٠٦م.

❖ الإيضاح في علوم البلاغة: أبو المعالي، جلال الدين القزويني (ت: ٧٣٩هـ)، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثالثة، (د. ت).
❖ البرصان والعرجان والعميان والحولان: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
❖ البرهان الكاشف عن اعجاز القران: أبو المكارم، كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف الأنصاري الزملكاني (ت: ٦٥١هـ)، تحقيق: خديجة عبد الرزاق الحديثي، ديوان الأوقاف، مطبعة العاني، ١٩٧٤هـ ١٣٩٤هـ.
❖ البلاغة والأسلوبية: د. محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، الطبعة الأولى ١٩٩٤م.
❖ تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د. ت).
❖ تحولات البنية في البلاغة العربية: بحيري اسامة، دار الحضارة للطبع والنشر، ٢٠٠٠م.
❖ التعريفات: علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، (د. ت).
❖ الحيوان: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٦٥م.
❖ دلائل الاعجاز: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت: ٤٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.
❖ الدلالة السياقية: عواطف مصطفى كنوش، دار السياب، ٢٠٠٧م.
❖ شرح المفصل: يعيش بن علي بن يعيش الأسدي (ت: ٦٤٣هـ)، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢/ ٢٠٠١م.
❖ الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجار: المؤيد بالله يحيى بن حمزة الحسيني (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ٢٠٠٢م.
❖ في نحو اللغة وتراكيبها (منهج وتطبيق): الدكتور خليل احمد عمايرة، مكتبة لسان العرب، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
❖ الكتابة في درجة الصفر: محمد نديم خفشة، مركز الانحاء العقاري، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

❖ اللغة الابداعية، دراسة اسلوبية لأعمال جبران خليل جبران العربية: يوسف محمد الكوفحي، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ٢٠١١م.
❖ معجم الشعراء العرب: الإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (ت: ٣٨٤هـ)، تصحيح وتعليق: الأستاذ الدكتور ف . كرنكو، مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢م.
❖ المفصل في صنعة الإعراب: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق: د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.
❖ النثر الفني في ثورة التوابين وإمارة المختار الثقفي: د. هاشم جبّار الزُرفي، مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.
❖ النحو العربي نقد وتوجيه: مهدي المخزومي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٩٦٤م.
❖ الوسائل الادبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم: صالح بن رمضان، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧م.

المجلات والدوريات:

❖ الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة: يحيى احمد، مجلة عالم الفكر، المجلد العشرون، العدد الثالث، اكتوبر ١٩٨٩م.
❖ شِعر الحَكم بن عبدل الاسدي: محمد نايف الدليمي: مجلة المورد، العدد الرابع، المجلد الخامس: ١٩٧٦م.
❖ شِعر الحَكم بن عبدل الاسدي: ورد محمدي مكاوي عزب، مجلة جذور، النادي الأدبي الثقافي، جدة، العدد ١٥، السنة السابعة، شوال ١٤٢٤/ ديسمبر ٢٠٠٣م.
❖ المباحث الاسلوبية عند ابن جني: د. صاحب ابو جناح، مجلة الأقلام، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العدد التاسع، سبتمبر ١٩٨٨م.